ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم . ويقال : ما ذقت غماضا . ونحوه من الابتلاء : ما ابتلى ا به أهل أيلة من ترك الصيد مع إتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب . وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي . وإن كان نبيا - كما يروي عن بعضهم - فبالوحي . وقرئ بنهر بالسكون . فإن قلت : مم استثنى قوله : " إلا من اغترف " ؟ قلت : من قوله : " فمن شرب منه فليس مني " والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم " والصابئون " المائدة : 69 ، في قوله : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون " ومعناه : الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله : " فشربوا منه " أي فكرعوا فيه " إلا قليلا منهم " وقرئ : غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف . وقرأ أبي والأعمش : إلا قليل بالرفع . وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية . فلما كان معنى " فشربوا منه " في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل : فلم يطيعوه إلا قليل منهم . ونحوه قول الفرزدق : .

.... لم يدع ... من المال إلا مسحت أو مجلف .

كأنه قال : لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف . وقيل : لم يبق مع طالوت إلا ثلثمائة وثلاثة عشرة رجلا " والذين آمنوا " يعني القليل " قال الذين يظنون " يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين أعينهم لقاه ا وأيقنوه . أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون ا والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة . وقيل : الضمير في " قالوا لا طاقة لنا " للكثير الذين انخذلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما . يظهر أولئك عذرهم في الانخذال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرو به . وروي : أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته . والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش .

" ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن ا وقتل داود جالوت وآتاه ا الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع ا الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن ا ذو فضل على العالمين " و جالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل " وثبت أقدامنا " وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب . كان إيشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحي إلى اشمويل أن داود بن إيشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه

فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت له : إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته . وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب " وآتاه ا الملك " في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود " والحكمة " والنبوة " وعلمه مما يشاء " من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك " ولولا دفع ا الناس " ولولا أن ا يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض . وقيل : ولولا أن ا ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين . أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض .

" تلك آيات ا نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين " " تلك آيات ا " يعني القصص التي اقتصها من حيث الألوف وإمانتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي " بالحق " باليقين الذي لا يشك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك " وإنك لمن المرسلين " حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار